

أصحاب الأُخْدود

من قصص القرآن والسنة

دروس وعبر



الشيخ الدكتور
أبو عبدالرحمن سمير بن أحمد الصباغ

أصحاب الأخدود

من قصص القرآن والسنة

دروس وعبر

كتبه الفقير للمرحمة ربه الشيخ الدكتور

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ



حقوق الطبع مبدولة لعموم المسلمين

١٤٤٧ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٦﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدى هدى نبيِّنا
محمدٍ ﷺ، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في
النار.



مِنْ عَظِيمِ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ أَنْ جَعَلَنَا مُسْلِمِينَ،
وَأَفَاضَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِنُورِهِ الدَّائِمِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَلَا وَهُوَ الْقُرْآنُ
الْكَرِيمُ وَالسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ الْعَطِرَةُ.

وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَا لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْنَا عَظِيمًا، وَمِنْ الْوَسَائِلِ التَّعْلِيمِيَّةِ الَّتِي عَلَّمَنَا اللَّهُ بِهَا أَنْ قَصَّ
عَلَيْنَا قِصَصًا يَثْبُتُ بِهَا عَلَى الدِّينِ فُؤَادُنَا، وَيُنِيرُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعِظَاتِ
وَالعِبَرِ عَقُولَنَا، فَقَالَ مَمْتَنَّا عَلَيْنَا: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ
الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ
الْغَافِلِينَ ﴿٣٠﴾} [يوسف: ٣].

وَبَيَّنَ الْحِكْمَةَ مِنْ وَرُودِ الْقِصَصِ فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ: {لَقَدْ
كَانَ فِي قِصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى
وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾} [يوسف: ١١١].



ومن هذه القصص العجيبة ذات الأحكام والفوائد والعبر والدروس المفيدة: قصة «أصحاب الأخدود» التي ذكرها الله جل وعلا في كتابه، وفصلها لنا النبي ﷺ في سنته المطهرة.

وما أنزل الله جل وعلا القرآن وما فيه من الأوامر والنواهي والمواعظ والقصص والأمثال والأحكام إلا لتدبر ما فيه، قال سبحانه: { كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } [ص: ٢٩]، وقال تعالى: { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [محمد: ٢٤]، وقال سبحانه: { فَأَقْصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [الأعراف: ١٧٦].

ومن هذا المنطلق شرعنا بتوفيق الله ومعونته في كتابة هذه الرسالة؛ لاستخراج ما في هذه القصة من العلوم والأحكام والمواعظ التي قصدها الله ورسوله، فقد اشتملت هذه القصة على أكثر من خمسين فائدة شرعية، وهذا ما نذكره بمشيئة الله تعالى في الصفحات الآتية، راجين المولى جل وعلا أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا، وأن يغفر لنا خطايانا،



ويسترننا بستره في الدنيا والآخرة، ويرزقنا الجنة بغير حساب ولا عذاب، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ونقسم هذه الرسالة إلى فصلين:

الفصل الأول: قصة أصحاب الأخدود في القرآن الكريم.

والفصل الثاني: قصة أصحاب الأخدود في السنة النبوية.



الفصل الأول

قصة أصحاب الأخدود في القرآن الكريم

نتناول في هذا الفصل ذكر الآيات الواردة في القصة، وبيان معاني مفرداتها، ثم المعنى الإجمالي للآيات الواردة فيها، ثم بيان الدروس والفوائد والعبر منها، وذلك من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: الآيات الواردة في قصة أصحاب الأخدود من

القرآن ومعاني مفرداتها

قال الله تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ① وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ②
وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ③ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ④ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ
⑤ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ⑥ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ⑦
وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ⑧ الَّذِي لَهُ
مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ⑨ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ⑩ إِنَّ الَّذِينَ
فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ الْخَرِيقِ ⑪ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ⑫ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ



لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبَدِّئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْعَظُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

[البروج: ١-٢٢].

معاني مفردات الآيات والقصة:

١- {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾}: ذاتِ المنازلِ المشتملةِ على منازلِ الشمسِ والقمرِ، والكواكبِ والنجومِ العظامِ المنتظمةِ في سيرِها على أكملِ نظامٍ دالٍّ على كمالِ قدرةِ اللهِ ورحمتهِ وسعةِ علمه وحكمته.

٢- {وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾}: هو يومُ القيامةِ الذي وعدَ اللهُ الخلقَ أن يجمعَهم ويحاسبَهم فيه.

٣- {وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾}: الشاهدُ يومُ الجمعةِ، والمشهودُ يومُ عرفة، كما ورد في الحديثِ عنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾}، قَالَ: «الشَّاهِدُ: يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ:



يَوْمَ عَرَفَةَ، وَالْمَوْعُودُ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١)، وكذلك يشمل كل مَنْ اتصف بهذا الوصفِ مِنْ مُبْصِرٍ وَمُبْصِرٍ، وحاضرٍ وحضورٍ، وراءٍ ومرئي.

٤- {قَتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ} : لعن أصحاب الأخدود.

٥- «والأخدود»: جمعه أخاديد، وهي الحفيرة في الأرض.

٦- «وأصحاب الأخدود»: هم قوم كفار أرادوا حمل المسلمين على الكفر، فأبى المسلمون ذلك، فحفروا لهم الأخاديد في الأرض، وأشعلوا فيها النيران، وأحرقوهم فيها.

٧- {التَّارِ ذَاتِ الْوُوقِدِ} : أوقدوا النار في الأخاديد لإحراق

المسلمين وتعذيبهم.

٨- {إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ} ؛ أي: محيطون بالأخاديد

مشاهدون لما يفعلون بالمسلمين من الإحراق والتعذيب، ومحاولون ردّتهم عن دينهم.

(١) أخرجه أحمد (٧٩٧٣).



٩- {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ}: سببُ النَّقْمَةِ
وَالسَّخَطِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالْإِحْرَاقِ وَالتَّعْذِيبِ هُوَ أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ
مُوحَّدُونَ عَابِدُونَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَلَا ذَنْبَ لِلْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ
مُسْلِمُونَ صَالِحُونَ مُتَّبِعُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ.

١٠- {الْعَزِيزِ}: الْقَوِيُّ الْغَالِبُ الَّذِي لَهُ الْعِزَّةُ كُلُّهَا، عِزَّةُ الْقُوَّةِ
وَالْغَلْبَةِ وَالْإِمْتِنَاعِ، الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَنَالَهُ بِسَوْءٍ.

١١- {الْحَمِيدِ}: هُوَ الْمَحْمُودُ فِي ذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَأَفْعَالِهِ وَصِفَاتِهِ،
الْمُسْتَحَقُّ لِلثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ وَالْحَمْدِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

١٢- {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ}: فَاللَّهُ هُوَ الْمَالِكُ
لِجَمِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهَا، وَمَا بَيْنَهَا وَفَوْقَهَا وَتَحْتَهَا، لَا
مَالِكَ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهُ.

١٣- {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} ٩: لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَا
تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، فَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الرَّقِيبُ الْقَرِيبُ الْعَلِيمُ
الْخَبِيرُ.



١٤- { فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } : عَذَّبُوهُمْ لِيَرْتَدُّوا عَنِ

دِينِهِمْ، وَقَتْلُوهُمْ لِأَنَّهُمْ ثَبَتُوا عَلَى دِينِ اللَّهِ.

١٥- { ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ } ؛ أَي : إِذَا تَابُوا قَبْلَ اللَّهِ

تُوبَتَهُمْ، وَأَنْجَاهُمْ مِنَ النَّارِ.

١٦- { عَذَابٌ جَهَنَّمَ } : عَذَابُ الْقِيَامَةِ.

١٧- { وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلْحَرِيقِ } : عَذَابُ الْقُبُورِ.

١٨- { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا } : صَدَقُوا فِي إِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَكُتِبَ،

وَمَلَائِكَتِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

١٩- { وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } : تَمَسَّكُوا، وَالتَّزَمُوا بِأَوْامِرِ اللَّهِ،

وَأَنْتَهَوْا عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ.

٢٠- { لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } : أَي جَزَائُهُمْ عِنْدَ

رَبِّهِمْ نَعِيمُ الْجَنَّةِ، وَرِضْوَانُ اللَّهِ.

٢١- { الْقَوْزُ الْكَبِيرُ } : النِّجَاحُ الدَّائِمُ الْعَظِيمُ، وَهُوَ الْفَوْزُ

بِالْجَنَّةِ وَالنِّجَاةُ مِنَ النَّارِ.



المبحث الثاني: المعنى الإجماليُّ للآيات التي وردت في قصة

أصحاب الأخدود

يُقَسِّمُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الْمَنَازِلِ الْمَشْتَمَلَةَ عَلَى مَنَازِلِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ الْمُنْتَظِمَةَ فِي سِيرِهَا عَلَى أَحْسَنِ نِظَامٍ وَأَكْمَلِ وَجْهِهِ، مَطْوَاعَةً لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى، وَكَذَلِكَ يُقَسِّمُ بِالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ الَّذِي هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَبِالشَّاهِدِ الَّذِي هُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودِ الَّذِي هُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَبِكُلِّ شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى، وَرَاءَ وَمُرْتَبِيٍّ.

فَأَدَاةُ الْقَسَمِ هِيَ الْوَاوُ، وَالْمُقَسَّمُ بِهِ مَا سَبَقَ مِنَ السَّمَاءِ، وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَيَوْمُ عَرَفَةَ، وَالْمُقَسَّمُ عَلَيْهِ: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ} [البروج: ٤]، فَأَصْحَابُ الْأَخْدُودِ هُمُ الَّذِينَ قَصَّ اللهُ عَلَيْنَا قِصَّتَهُمْ، كَمَا سَيَأْتِي فِي حَدِيثِ صَهْبِ الرُّومِيِّ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، فَلَعَنَهُ اللهُ عَلَى الْكُفْرَةِ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ الَّذِينَ حَفَرُوا الْأَخَادِيدَ، وَأَضْرَمُوا فِيهَا النَّيْرَانَ؛ لِتَعْذِيبِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَقَتْلِهِمْ وَإِحْرَاقِهِمْ



بسبب ضعف أهل الإيمان في ذلك الزمان واستضعافهم، وكانت الغلبة والقوة والمُلك مع الكفار.

فحفروا الأخاديد، وأشعلوا فيها النيران، وقاموا حولها يقذفون فيها أهل التوحيد لقتلهم وإحراقهم؛ انتقاماً منهم؛ لأنهم آمنوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبالأنبياء والرسل، والقيامة، والقدر، ونحو ذلك، وبأنه لا معبود بحق إلا الله العزيز القوي المنيع الذي لا يُغلب ولا يُقهر، الغني بذاته، الحميد الذي يستحق الحمد والثناء على ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، والذي يحمّد أوليائه على صالح أعمالهم، ويُجازيهم عليها، فهو المَلِكُ المَالِكُ للسموات والأرض وما فيهن، الذي له الخلق والأمرُ سبحانه، وهو على كل شيء شهيدٌ بعلمه، وسمعِه، وبصرِه، وقُربِه، وإحاطتِه، فلا تخفى عليه خافية، وقد خفي كل ذلك على هؤلاء الكفار الملعين، ففعلوا ما فعلوا، ونسوا أن الله لهم بالمرصاد.

ثم قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلْحَرِيقٍ ﴿١٠٠﴾} [البروج: ١٠٠]؛ أي:



إن هؤلاء الكفارَ المشركين الذين قتلوا المؤمنين وعذبوهم وأحرقوهم بالنيران لو تابوا وأسلموا وندموا ورجعوا إلى الله تعالى؛ لَقَبِلَ اللهُ تَوْبَتَهُمْ، وعفا عنهم، وجازى أهلَ الإيمانِ على صبرهم وما جرى لهم خيرَ الجزاءِ، أما وإنهم لم يتوبوا فلهم عذابُ جهنَّمَ في القيامةِ خالدين فيها أبدًا، ولهم عذابُ الحريقِ في القبورِ، يُعَذَّبُونَ فيها، وَيُحَرَّقُونَ إلى يومِ البعثِ والنشورِ؛ جزاءَ كُفْرِهِمْ وفتنتِهِم لعبادِ اللهِ الموحدين.

ثم بيَّن اللهُ تعالى جزاءَ أهلِ الإيمانِ الصابرين الصادقين، فقال:

{ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿٣١﴾ [البروج: ١١]، فيفوزون برضوانِ اللهِ وجنانه بما فيها من النعيمِ المقيمِ الأبدِيِّ السَّرْمَدِيِّ خالدين فيها أبدًا، كما قال سبحانه: {فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٣﴾ هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ [المطففين: ٣٤-٣٦].



ثم بيّن الله جل وعلا أن بطشه وانتقامه من الكافرين والمشركين والمجرمين والذين فتنوا المؤمنين شديدٌ أليم، فقال: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبَدِّئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾} [البروج: ١٢-١٣]، فهو الذي بدأ الخلق، وهو الذي يعيدهم بعثهم من قبورهم يوم القيامة، يقول للشيء: كن، فيكون، كما قال سبحانه: {مَا خَلَقْنَاكُمْ وَلَا نَبْعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنْ أَلَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾} [لقمان: ٢٨].

ثم بيّن رحمته ومحبته لعباده المؤمنين، فقال: {وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾} [البروج: ١٤]؛ أي: الغفور لذنوب عباده التائبين وإن عظمت وكثرت، الودود المتحجب إليهم بنعمه الدينية والدنيوية.



المبحث الثالث: الدروس والفوائد المستفادة من القصة

يُستفاد من هذه الآيات الواردة في سورة «البروج» في قصة أصحاب الأخدودِ فوائدٌ كثيرةٌ، نذكرُ منها ما يأتي:

١- استحبابُ القراءةِ أحياناً في الصلواتِ عموماً وفي صلاةِ العشاءِ خصوصاً بسورةِ البروجِ؛ لما رواه أحمدُ بنُ حنبلٍ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ الْآخِرَةَ بِـ«السَّمَاءِ»- يَعْنِي: ذَاتِ الْبُرُوجِ- «وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ»^(١).

وفي روايةٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ أَنْ يُقْرَأَ بِالسَّمَوَاتِ فِي الْعِشَاءِ»^(٢).

٢- اللهُ جل وعلا يُقسِمُ بما شاء من خلقه، ولا يُسألُ عما يفعلُ وهم يُسألون، أما نحن فلا يجوزُ لنا أن نُقسِمَ إلا بالله؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَأكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ

^(١) أخرجه أحمد (٨٣٣٢).

^(٢) أخرجه أحمد (١٠٨٧٩)، وفي إسناده أبو المهزَّم، ضعّفه شعبةُ وابنُ المديني وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي.



بِاللَّهِ وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ»^(١)؛ ولقوله عليه السلام: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»^(٢)، ولقوله: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ»^(٣).

فالحلفُ بغيرِ الله تعالى من الشركِ الأصغرِ، ومن كبائرِ الذنوبِ. واللهُ جل وعلا لا يُقسِمُ إلا بما يدُلُّ على عظيمِ قدرته وفضله على خلقه، ك«السماء والطارق»، و«السماء ذات البروج»، و«الذاريات»، ونحو ذلك، أو بما هو عظيمُ القدرِ عندَ الله، كقوله في حقِّ النبيِّ محمدٍ ﷺ: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الحجر: ٧٢]، أو بما فيه نفع للناس، كقوله: {وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ} [التين: ١]^(٤).

٣- جوازُ لعنِ الكفارِ والمشرِكين، والدعاءِ عليهم وتبشيرِهم بالنارِ؛ قال اللهُ تعالى: {أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: ١٨]، وقال عن المنافقين: {مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخِذُوا وَقْتِلُوا

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٨).

(٢) أخرجه أحمد (٥٣٧٥)، وأبو داود (٣٢٥١)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٩٨٠).

(٤) تفسير الشيخ أبي بكر الجزائري، سورة الطور.



تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ { [الأحزاب: ٦١]، وهنا قال سبحانه: { قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤١﴾ { [البروج: ٤١]، وقد دعا النبي ﷺ على أقوامٍ من الكفار وقال: «اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بِنَ رَبِيعَةَ، وَعْتَبَةَ بِنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بِنَ خَلْفٍ»^(١)، وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ لِحْيَانَ وَرِعْلًا وَذَكْوَانَ، وَعُصَيْبَةَ عَصَتِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ»^(٢).

٤- عداوة الكفار المشركين والزنادقة والمنافقين وجميع ملل الكفر لأهل الإيمان: عداوة دينية، كما قال سبحانه: { وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٣٠﴾ { [البقرة: ١٢٠]، وقال تعالى: { وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكَ حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَظَلَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

(١) أخرجه البخاري (١٨٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (٦٧٥).



خَلِيدُونَ ﴿٢١٧﴾ {البقرة: ٢١٧}، وقال تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ {البقرة: ١٠٩}، وقال: {وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴿٨٩﴾ {النساء: ٨٩}.

وهنا قال الله تعالى: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ

الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ {البروج: ٨}، فالكفار لم ينتقموا من المؤمنين إلا لأنهم آمنوا بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهذا هو أصل العدوات بين أهل الإيمان وأهل الكفر.

٥- الكفار إذا تمكنوا لن يرحموا المسلمين؛ لشدة قسوة قلوبهم عليهم، فجميع ملل الكفر إذا ملكوا مظاهر القوة والتمكين يكون هدفهم الأول القضاء على الإسلام وأهله، كما قال سبحانه: {إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ {الكهف: ٢٠}، وقال سبحانه: {لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا



وَلَا ذِمَّةَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ {التوبة: ١٠}، والتاريخُ والواقعُ خيرُ شاهدٍ على ذلك.

ولذلك يَجِبُ على المسلمين أن يأخذوا بأسبابِ القوةِ الدينيةِ والدينيويةِ التي يحفظون بها دينهم وأرواحهم وأموالهم وأعراضهم وبلاذهم، كما قال سبحانه: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ {الأنفال: ٦٠}.

٦- اللهُ جل وعلا هو التوابُ الغفورُ الغفارُ الرحمنُ الرحيمُ يغفرُ الذنوبَ جميعاً، ويقبلُ التوبةَ، ويعفو عن السيئاتِ مهما حصلَ من المسيءِ: فمن عظيمِ سَعَةِ رحمةِ اللهِ تعالى أن العبدَ مهما ارتكبَ من الآثامِ، ثم رجعَ وتابَ وأتابَ إلى اللهِ ونِدِمَ واستغفرَ ورجا العفوَ والصلاحَ؛ فإن الله تعالى يقبلُ توبته، ويفرحُ به، ويبدلُ سيئاته حسناتٍ، فهؤلاء أصحابُ الأخدودِ الذين قتلوا أولياءَ الله وحرَّقوهم بالنيرانِ، وساموهم سوءَ العذابِ، قال اللهُ عنهم: {إِنَّ



الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ
 وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ ﴿٦٧﴾ {البروج: ١٠}؛ أي: أنهم إذا تابوا بعد ذلك
 كله تاب الله عليهم، وغفر لهم، وعفا عنهم؛ بل وبدل سيئاتهم
 حسنات، كما قال سبحانه: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ
 وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ
 يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ
 فِيهِءَ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ
 يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾}
 [الفرقان: ٦٨-٧٠].

ولما جاء جماعة من كفار مكة بعد الفتح، وقالوا للنبي ﷺ: «إِنَّ
 الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لِحَسَنٍ، لَوْ تُخْبِرُنَا أَنْ لِمَا عَمَلْنَا كَفَّارَةً.
 فَتَزَلْ: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
 الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ...} [الفرقان: ٦٨]، وَنَزَلَتْ:
 {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ



اللَّهُ... { [الزمر: ٥٣] ^(١) .

وقال النبي ﷺ: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَأَنْفَلَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجْرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةٌ عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ» ^(٢) .

قال الحسن البصري رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة.

٧- الجزاء من جنس العمل:

قال الله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ} { [فصلت: ٤٦] ، وقال: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ} [الزلزلة: ٧-١٠]

^(١) أخرجه البخاري (٤٨١٠)، ومسلم (١٢٢).

^(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٧).



[٨]، وهنا قال سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ

يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البروج: ١٠].

فجزأؤهم من جنسِ عملِهِم، كفروا وقتلوا أهلَ الإيمانِ، ولم يتوبوا، وماتوا على ذلك، فكان الجزاءُ من الله اللعنَ والطرْدَ من رحمته، وخلودهم في النارِ معذيين فيها.

وأما أهلُ الإيمانِ فأيضًا كان جزأؤهم من جنسِ عملِهِم الصالحِ، وإيمانِهِم باللهِ تعالى بنعيمِ الجناتِ وحلولِ الرضوانِ من الله عليهم، ولهذا قال اللهُ عنهم: {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ} [البروج: ١١].

٨- العاقبة للمتقين والخزي والعار على الكافرين:

هذه الدنيا دارُ ابتلاءٍ واختبارٍ، وما هي إلا ساعاتٌ وأيامٌ وشهورٌ وسنواتٌ ثم تنقضي، فهي أيامٌ معدوداتٌ، وليست دارَ مقرٍّ، وإنما هي دارُ ممرٍّ، وبعدَ الحسابِ والجزاءِ، إما إلى جنَّةٍ وإما إلى نارٍ، والجنَّةُ أُعدَّت للمتقين، والنارُ أُعدَّت للكافرين والمجرمين، قال



الله تعالى: {وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾} [طه:١٣٢]، وقال: {قَالَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾} [النحل:٢٧]،
وقال: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي
الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾} [القصص:٨٣]، وهنا قال عن
المجرمين: {فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾}
[البروج:١٠]، وقال عن المؤمنين: {لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾} [البروج:١١].

٩- الابتلاء في هذه الدنيا سنة ربانية في الخلق:

كل إنسان في هذه الدنيا له ابتلاء، وأهل الإيمان بصفة خاصة
يكرمهم الله بالابتلاء؛ تمحيصاً لهم، ورفعاً لدرجاتهم، وتكفيراً
لسيئاتهم، ويبتلى المرء على قدر دينه، فإن كان دينه صلباً زيد له في
البلاء، وإن كان في دينه رقة فيبتلى على قدر دينه، وأشد الناس بلاءً
الأنبياء ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، وإن الله إذا أحب قوماً
ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط.



والواجبُ على المسلمِ الصبرُ على البلاءِ، والرضا بالقضاءِ، فإن فعل فإنه أغنى الناسِ وأفضلهم عند الله تعالى، وله الرضا، وله الرضوانُ من الله، قال الله تعالى: {وَلَتَبْلُوتُنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابْتَهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾} [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، وقال تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٥﴾} [الأحقاف: ٣٥]، وقال سبحانه: {إِنَّمَا يُوقِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾} [الزمر: ١٠].

فأهلُ الإيمانِ في قصةِ أصحابِ الأخدودِ كان بلاؤهم في ذاتِ الله تعالى، ابتلوا بعداءِ الكافرين، وبالقتلِ والتعذيبِ والتحريقِ؛ لأنهم آمنوا بالله ورسله فصبروا، واستشهدوا في سبيلِ الله، فأحسنَ اللهُ لهم الخاتمةَ، ورزقهم بالفوزِ الكبيرِ، والرضوانِ العظيمِ.



وهكذا كلُّ عبدٍ مسلمٍ صابرٍ محتسِبٍ يخشى اللهَ ويتقيه.

١٠- كل شيء في هذا الكون إنما يجري بتقدير الله وعلمه ومشيئته: فالله بكلِّ شيءٍ محيطٌ، وعَلِمَ ما الخلقُ عاملوه قبل أن يخلُقَهُم، فإنه جل وعلا كَتَبَ مقاديرَ الخلائقِ قبلَ خلقِ السمواتِ والأرضِ بخمسين ألفَ سنةٍ، وكان عرشُه على الماءِ، وقال: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحديد: ٢٢]، وقال سبحانه: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: ٢٩].

فالظالمُ حين يظلمُ فإنما هو ينفذُ قدرَ الله في المظلومِ، فعلى الظالمِ وزره، وللمظلومِ الصابِرِ الحامِدِ أجره، {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} [الرعد: ٨].

والظالمُ لا يظلمُ إلا نفسه، قال الله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ} [نصفت: ٤٦].



الفصل الثاني

قصة أصحاب الأخدود في السنة النبوية

نتناول في هذا الفصل ذكراً نصّ الحديث الصحيح الوارد في القصة، كما في «صحيح مسلم» وغيره، عن صهيب الرومي، ثم نذكر مشاهد القصة وأحداثها، مع الشرح الإجمالي لها. ثم نذكر ما يُستفاد من القصة من الدروس والمواعظ والفوائد وذلك من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: نص الحديث

عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يَعْلَمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ، وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعَجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ، وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي



السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ
النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرَ أَفْضَلَ أَمْ الرَّاهِبَ أَفْضَلَ؟ فَأَخَذَ
حَجْرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ
فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَفَقَتَلَهَا، وَمَضَى
النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَنِي أَنتَ الْيَوْمَ
أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا
تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِي الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ
سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَاتَاهُ بِهِدَايَا
كَثِيرَةً، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا
أَشْفِي أَحَدًا إِلَّا مَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فُشِّفَاكَ،
فَأَمَّنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ
لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟
قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَدِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ،
فَعَجِيَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بَنِي قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِي
الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِلَّا مَا



يَسْفِي اللَّهَ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ
بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِثْشَارِ، فَوَضَعَ
الْمِثْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ
الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِثْشَارَ فِي مَفْرِقِ
رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغَلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ
دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ
كَذَا وَكَذَا، فَاصْعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ
دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذْهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ
اكَفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى
الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيَهُمُ اللَّهُ،
فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ،
فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْدِفُوهُ، فَذْهَبُوا بِهِ،
فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكَفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَأَنْكَفَتَ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَعَرِقُوا، وَجَاءَ
يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ:
كَفَانِيَهُمُ اللَّهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرَكَ بِهِ،



قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجَمُّعُ النَّاسِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصَلُّبِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خَذُ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحَذَّرُ؟ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأَخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكِّ، فَخُدَّتْ وَأُضْرِمَ النَّيْرَانُ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَن دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، ففَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهُ، اضْبِرِّي؛ فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ»^(١).

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥).



المبحث الثاني: مشاهد القصة

هذه قصةٌ عظيمةٌ قصَّها علينا رسولُ الله ﷺ لتتعلَّم منها أحكاماً وعبراً كثيرةً، وقد حدثت قبل النبي ﷺ بزمانٍ، وكانت في مدينة نجران على حدود اليمن، وخلاصةُ هذه القصة:

١- أنه كان هناك ملكٌ كافرٌ يحكم هذه البلاد، وكان يدعي لنفسه الربوبيةً من دون الله، وكان له ساحرٌ دجالٌ يستعين بالشياطين والجن، ويدعي علم الغيب، ومن ادعى الربوبيةً لغير الله فهو كافرٌ، والساحرُ الذي يستعين بالجانٍ ويدعي علم الغيب كافرٌ.

٢- فلما كبر هذا الساحرُ واستشعر أنه اقترب من الموت، أراد أن يستخلف من يحمل عنه هذا العلم الضارَّ (السحر)، فطلب من الملك أن يختار له غلاماً ذكياً سريع الفهم، سريع الحفظ، فاختر له الملكُ غلاماً فطناً لقناً، وبدأ الغلامُ يتعلم السحر من الساحر في قصر الملك.

٣- وبينما كان الغلامُ ذاهباً إلى الساحر ذات يومٍ؛ إذ مرَّ على راهبٍ - أي: عابدٍ مسلمٍ من أتباع نبيِّ الله عيسى ﷺ - وكان عنده



علم، فجلس معه، وسمع منه كلام الله وكلام نبيه عيسى بن مريم، فأعجبه ذلك؛ لأن الإنسان مفطور على الفطرة السوية؛ أي: على الإسلام والسنة والدين الحق، وظل يتردد كل يوم على الراهب في الصباح عند ذهابه للساحر في قصر الملك، وفي أثناء رجوعه إلى بيته في آخر النهار، ليتعلم منه التوحيد والسنة، ولم يخبر بذلك أحداً، لا الساحر ولا الملك، ولا أهل بيته؛ لأنهم لو علموا لمنعه من تعلم الإسلام ليصير كافراً ساحراً عدواً لله ودينه.

٤- فكان يذهب إلى الساحر في الصباح متأخراً بسبب أنه يجلس مع الراهب أولاً ليتعلم منه دين الله، فكان الساحر يضربه على التأخير، وكان إذا رجع إلى بيته مر على الراهب ليتعلم منه دين الإسلام؛ كلام الله وسنة رسوله؛ لأن جميع الأنبياء دينهم واحد، جاؤوا بالإسلام، فكان نبي الله عيسى مسلماً كني الله محمد ﷺ، فكان الغلام يرجع إلى بيته متأخراً، فيضربه أهل بيته.

٥- فشكا ذلك الضرب الكثير إلى الراهب، فأمره الراهب أن يكذب على الكفرة أعداء الله؛ لينجو من الهلاك، وليتعلم الدين



الحق، فقال له: إذا أراد الساحرُ أن يضربَكَ فقل له: «حَسَنِي أهلي»؛ أي: أخروني عن المجيء، وإذا أراد أهل بيتك أن يضربوك فقل لهم: «حَسَنِي السَّاحِرُ».

٦- واستمرَّ هذا الغلامُ في طلبِ العلمِ والحفظِ على يدِ هذا العالمِ الراهبِ الموحدِ المسلم، وفي الوقتِ نفسه استمرَّ في تعلُّمِ السِّحْرِ من الساحرِ المشرك، فكان يتعلَّمُ النقيضينِ للإسلامِ والكفرِ، التوحيدَ والشركَ، فكان عنده شيءٌ من الحيرةِ.

٧- وذاتَ يومٍ بينما هو يمشي في الطريقِ إذ رأى دابةً عظيمةً، كالأسدِ، أو الحيةِ، أو الأفعى، ونحو ذلك، وقد خاف الناسُ منها، فلا يستطيعون أن يمروا من هذا الطريقِ، فقال الغلامُ: «اليومَ أعلمُ»- أي: أتأكدُ- «السَّاحِرُ أَفْضَلُ أمِ الرَّاهِبِ أَفْضَلُ؟»، وكان يحبُّ الراهبَ وأمره.

فأخذ حجراً بيده ودعا الله تعالى، وقال: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ».



٨- فذهب الغلامُ إلى الراهبِ وأخبره الخبرَ، فقال له: «أَيُّ بَنِي أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي»؛ أي: أَنْتَ قَدْ آمَنْتَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَدِينِهِ، وَقَدْ حَسَّنَ إِسْلَامُكَ، وَزَادَ إِيمَانُكَ، وَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِكَرَامَةٍ مِنْ كِرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَهِيَ أَنَّكَ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ، كُلَّمَا دَعَوْتَ اللَّهَ فِي خَيْرٍ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَكَ، وَالْعَبْدُ إِذَا صَحَّ إِسْلَامُهُ، وَزَادَ إِيمَانُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَخْتَبِرُهُ بِبَعْضِ أَنْوَاعِ الْإِبْتِلَاءِ، لِيَرَفَعَ دَرَجَاتِهِ، وَيَكْفُرَ سَيِّئَاتِهِ، وَيَقْوِيَ إِيمَانَهُ، وَيُثَبِّتَهُ عَلَى دِينِهِ، فَقَالَ لَهُ: «وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنَّ ابْتِلَايَتَكَ فَلَا تَدُلُّ عَلَيَّ»؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْكُفَّارَ إِذَا عَلِمُوا بِهِ سَيَحَاوِلُونَ قَتْلَهُ وَالتَّخْلُصَ مِنْهُ؛ حَتَّى لَا يَوْجَدَ مَنْ يَعْلَمُ النَّاسَ التَّوْحِيدَ وَالسُّنَّةَ.

٩- وَهَذَا الْغُلَامُ لِحِرْصِهِ عَلَى الْعِلْمِ وَشِدَّةِ صِلَاحِهِ وَإِخْلَاصِهِ لِلَّهِ أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِإِجَابَةِ دَعَائِهِ، فَكَانَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالتَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ، وَكَانَ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، كَثِيرَ النِّفْعِ لِلنَّاسِ، فَكَانَ يَبْرَأُ الْأَكْمَهَةَ؛ أَي: الْأَصْمَ، وَالْأَبْكَمَ؛ أَي: الْأَخْرَسَ، وَيَشْفِي الْمَرْضَى بِدَعَائِهِ لَهُمْ، وَإِجَابَةِ اللَّهِ لِدَعَائِهِ، فَكَانُوا يُسَلِّمُونَ،



ويعبدون الله وحده لا شريك له، مع اعتقادهم التام أن الشافي هو الله وحده.

١٠- وكان هناك جليسٌ للملكٍ قد أُصيبَ بالعمى، فذهب إلى هذا الغلامٍ بهدايا كثيرة، وقال له: اشفني وأعطيك ما تريد من الأموال. فقال الغلام: «إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك، فأمن بالله فشفاه الله»، وردَّ إليه بصره.

١١- فعاد الجليسُ إلى الملك، وجلس بجواره كعادته، فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ فقال: ربِّي. فقال الملك: أنا؟ قال الجليس: «ربِّي وربُّكَ اللهُ»؛ أي: أنا وأنت بشرٌ من خلقِ الله، فأذن الملك في تعذيبه وضربه وجلده؛ ليعرفَ الذي علَّمه هذا الدِّينَ وهذه العقيدة، ومن شدَّةِ التعذيب دلَّ على الغلام.

١٢- فبعث الملكُ إلى الغلام، وقال له: يا بني، هل بلغت من المهارة في السِّحرِ أنك تشفي المرضى، وتبرئ الأكمه والأبرص؟ فقال الغلام: «إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله»، فهو الذي خلق السموات والأرض، وهو الذي يحيي ويميت، فأخذه وظلَّ يعذِّبه



ليُدِّله على الذي علَّمه الإسلام، فلم يَزَلْ يعذِّبه حتى دَلَّ على
الراهبِ العالمِ الذي علَّمه هذه العقيدة.

١٣- فَأْتِي بِالرَّاهِبِ إِلَى الْمَلِكِ، وَقَالَ لَهُ: «ارْجِعْ عَن دِينِكَ،
فَأَبِي»، وَقَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَقَتَلَهُ بِطَرِيقَةٍ سَنِيْعَةٍ؛ حَيْثُ جَاءَ
بِالْمَنْشَارِ، وَوَضَعَهُ عَلَى رَأْسِ الرَّاهِبِ، وَشَقَّهُ نَصْفَيْنِ وَهُوَ حَيٌّ
حَتَّى مَاتَ.

١٤- ثُمَّ قَالَ لِلْجَلِيسِ الَّذِي كَانَ أَعْمَى وَشَفَاهُ اللَّهُ: «ارْجِعْ عَن
دِينِكَ، فَأَبِي»، فَقَتَلَهُ مِثْلَ الرَّاهِبِ، وَوَضَعَ الْمَنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ،
وَشَقَّهُ نَصْفَيْنِ حَتَّى مَاتَ.

١٥- وَقَالَ لِلْغُلَامِ: «ارْجِعْ عَن دِينِكَ، فَأَبِي»، فَبَعَثَ مَعَهُ
مَجْمُوعَةً مِنَ الْجُنُودِ إِلَى أَعْلَى الْجَبَلِ؛ لِيَذْهَبُوا بِهِ وَيُرْدُّوهُ عَنِ
الْإِسْلَامِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنْ رَجَعَ عَنِ دِينِهِ فَاتْرَكُوهُ، وَإِنْ لَمْ يَرْجِعْ
فَاقْتُلُوهُ.

١٦- فَلَمَّا صُعِدَ بِهِ الْجَبَلِ، دَعَا الْغُلَامُ رَبَّهُ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ
بِمَا شِئْتَ»، فَتَزَلَزَلَ الْجَبَلُ، فَسَقَطُوا وَمَاتُوا أَجْمَعُونَ، ثُمَّ رَجَعَ



الغلامُ إلى الملك، فسأله عن الجنودِ، وقال: أين هم؟ قال الغلام:
كفانيهم اللهُ بإهلاكهم وقتلهم جميعاً.

١٧- فأمر الملكُ مجموعةً أخرى من الجنود بأخذِ هذا الغلامِ
في قُرُورٍ؛ أي: سفينةٍ صغيرةٍ، وأمرهم أن ينزلوا به البحرَ، وأن
يهددوه، فإن رجع عن دينه ردُّوه سالمًا، وإن لم يرجع ألقوا به في
البحرِ.

١٨- فدعا الغلامُ ربَّه حين نزلوا إلى البحرِ، وقال: «اللَّهُمَّ
اكَفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتُمْ»، فغرقوا أجمعونَ، وأهلكهم اللهُ سبحانه، ثم
رجع الغلامُ للملك، وسأله عنهم، فقال له: كفانيهم اللهُ وأهلكهم.

١٩- ثم قال الغلامُ للملكِ: «إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا
أَمُرُكَ بِهِ»، وإن لم تفعلْ فلن تستطيع قتلي، قال الملك: وماذا
أفعل، قال الغلام: «تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ»؛ أي: في مكانٍ
واسع، ثم تصلبيني على جذعِ شجرةٍ أو نخلةٍ، وتأخذُ سهمًا من
كيناتي، ثم تقولُ أمامَ الناسِ أجمعين: «بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ»، فإنك
إذا فعلت ذلك قتلتني.



وذلك يُقَرَّرُ الملكُ أمامَ جميعِ الناسِ أَنَّهُ ليسَ ربًّا ولا إِلَهًا، وإنما المستحقُّ للعبوديةِ هو اللهُ وحدهُ رب العالمين.

٢٠- ففعل الملكُ ما أمره به الغلامُ، وأخذ السهمَ من كِنانته وقال: «بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الغُلامِ»، ثم رماه به فقتله، «فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ» رَحِمَهُ اللهُ، ورضِيَ عنه.

٢١- فقال الناسُ: آمَنَّا باللهِ ربِّ الغلامِ، وهذا هو الذي قَصَدَهُ الغلامُ، أن يعلمَ الناسَ أن الملكَ ليسَ ربًّا ولا إِلَهًا، وأنه رجلٌ ظالمٌ، وأنه مجردٌ مخلوقٍ ضعيفٍ، لا يملكُ لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا.

٢٢- فلما آمَنَ الناسُ الحاضرون جميعًا، قال الجنودُ الكَفَرَةُ للملكِ: قد حدث ما كنتَ تحذِرُ، أنتَ مشرِكٌ كافرٌ، أردتَ أن يكونَ الناسُ كلُّهم كفارًا مثلكَ، وكنتَ تخافُ أن يُسَلِمُوا ويؤمنوا باللهِ الواحدِ الأحدِ، فها هم قد أسلموا وآمنوا باللهِ ورسله.



٢٣- فأمر الملك بحفر الأخاديد- وهي الحفر الكبيرة- وإشعال النيران فيها؛ لكي يحرق فيها من آمن بالله ورسله، أما من ارتد عن دينه وكفر فلا يحرق فيها.

٢٤- فحفر جنوده الأخاديد، وأشعلوا النار فيها، وأحرقوا المؤمنين بالله، حتى إنهم أتوا بامرأةٍ ومعها طفلٌ رضيعٌ ليلقوها في النار إذا ثبتت على دين الله، فتراجعت وترددت خوفاً على طفلها، فأنطق الله الطفل الرضيع، وقال لها: يا أمّاه، اصبري، إنك على الحق، ولذلك قال الله تعالى في سورة البروج: {قَتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾}.

أي: لعن أصحاب الأخدود الذين حفروا الأخاديد، وأشعلوا فيها النيران، وأحرقوا فيها المؤمنين الموحدين.



٢٥- ثم قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾
 [البروج: ١٠]؛ أي: إن هؤلاء الكفار الذين عذبوا أولياء الله المؤمنين
 بالنار وقتلوهم، لو أنهم تابوا إلى الله، وآمنوا به بعد ذلك كله لقبَل
 الله توبتهم، وغفر لهم، وهذا من عظيم رحمة الله الواسعة.



المبحث الثالث: ما استفاد من القصة

هذه القصة فيها فوائد كثيرة عظيمة، نذكر منها ما يلي:

١- **أَنَّ السَّحَرَ كَفْرٌ**، وأنه من أعظم وسائل الكفار في الضلال، ومحاربة الإسلام، ولهذا قال الله تعالى: **{وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ}** [البقرة: ١٠٢].

٢- **أَنَّ السَّحَرَ عِلْمٌ كُلُّهُ ضَرَرٌ مُحَضٌّ**، لا نفع فيه، ولهذا قال الله تعالى عن تعلم السحر: **{وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ}**.

٣- **أَنَّ الْعِدَاءَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ قَائِمٌ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ**، ولهذا قال الله تعالى عن الكفار: **{وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا}** [البقرة: ٢١٧]، وقال عن اليهود والنصارى:

{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة: ١٢٠]، وقال سبحانه: **{وَدُّوا لَوْ تُكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا}**

{فَتَكُونُونَ سَوَاءً} [النساء: ٨٩]، فيستحيل على الكافر أن يحب المسلم؛

بل جميع الكفار- من يهود، ونصارى، ومجوس، ومشركين،

وشيوعيين، وعلمانيين- أعداء للمسلمين والإسلام.



٤- **أَنَّ الذَّهَابَ لِلسَّحَرَةِ وَالدَّجَالِينَ وَالعَرَّافِينَ مِنَ الكَفْرِ بالله**، قال النبي ﷺ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ^(١)»، وهذا في حق مَنْ صدَّقهم، وقال ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»^(٢)، وهذا في حق مَنْ ذهب إليهم، ولم يُصدِّقهم.

٥- **أهميَّة التعليم في الصَّغَر**، فالتعليم في الصَّغَر كالنقش على الحجر، فمَنْ تعلَّم وحفظ في صغره سيظلُّ حافظًا وعالمًا في كِبَرِهِ ولن ينسى بإذن الله تعالى، ولهذا حرص السَّاحِرُ على أن يختار الملك له غلامًا صغيرًا فطنًا ذكيًا لِقِنَّا سريعَ الحفظ.

٦- **وجوبُ العناية بالنَّشءِ المسلم، وتعليم الصغار، وتحفيظهم القرآن والسُّنة**، والعلوم الشرعية، فمن شبَّ على شيء شاب عليه، كما قال الشاعر:

وَيَسْأُ نَاشِئُ الفِتْيَانِ مِنَّا * عَلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ أَبُوهُ

(١) أخرجه أحمد (٩٥٣٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٦٣٨).



٧- **حرصُ الأعداءِ على التعاون فيما بينهم لإفسادِ الناسِ**، ونشر

الكفر والإلحادِ في الأرضِ، طوالَ حياتِهِم، وعندَ مماتِهِم، فهذا الساحرُ خشيَ أن يموتَ ويموتَ سحرُه بعده، فأراد أن يستخلفَ مَنْ يحملُ كفرَه من بعده، فتعاون مع المَلِكِ على ذلك، واختار له غلامًا؛ لِيُعَلِّمَهُ هذا الكفرَ؛ ليكونَ إمامًا في السِّحرِ والكفرِ والضلالِ من بعده.

ولهذا قال الساحرُ للملكِ كما ورد في رواية الترمذي: «انظروا لي غلامًا فهما - أو قال: فطنا - لِقْنَا، فَأَعَلَّمَهُ عِلْمِي هَذَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ أَمُوتَ فَيَنْقَطِعَ مِنْكُمْ هَذَا الْعِلْمُ، وَلَا يَكُونَ فِيكُمْ مَنْ يَعَلِّمُهُ»^(١).

٨- **وجوبُ الحرصِ على أن نستخلفَ مَنْ يحملُ علمَ الكتابِ والسُّنةِ بفهمِ سلفِ الأُمَّةِ**، فهؤلاء الكفارُ حريصون على أن يستخلفوا مِنْ بعدهم مَنْ يحملُ كفرَهُم؛ لِيُنشِرَهُ في الأرضِ، فالأولى بالمسلمين أن يحرصوا على استخلافِ أبنائهم لحملِ الدعوةِ إلى اللهِ بالعلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ.

(١) سنن الترمذي (٣٣٤٠).



٩- كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ، فالأصلُ أن كلَّ إنسانٍ يُولَدُ

على الإسلام، وعلى حبِّ التوحيد، ومعرفة الله تعالى، وميله في الأصلِ للفضائل والمكارم، ولكنَّ الوالدينِ والبيئَةَ والصُّحْبَةَ هي التي تكون سبباً في انحرافِ هذه الفطرة، ولذلك قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجِجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟»، ثم تلا أبو هريرة ؓ قوله تعالى: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾} [الروم: ٣٠].^(١)

فالغلامُ الذي اختاروه لتعلمِ السحر ذهب لقصرِ الملك يتعلمُ الكفرَ المناقضَ للفطرة والسنة التي فطره اللهُ وخلقها عليها، ولهذا بمجرد أن التقى بالراهبِ مال بفطرته إليه، وإلى علمه، ودينه، فتعلمَ وآمنَ، وتمسكَ بالإسلام، ودعا الناسَ إلى التوحيد، ومات على ذلك.

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).



١٠- جواز الكذب على العدو لإنقاذ النفس من الهلاك،

وللنجاة من كيد الكفار، ولذلك أمر الراهب الغلام بالكذب على الساحر؛ حتى لا يضربه ويقول: «حَبَسَنِي أَهْلِي»، وبالكذب على أهله ويقول «حَبَسَنِي السَّاحِرُ»؛ حتى ينجو من العذاب الشديد، وحتى يستطيع أن يتعلم التوحيد والسنة، ويحمل الإسلام؛ ليكون من دُعَاة المخلصين، وجُنْدِه المجاهدين.

ولهذا أباح النبي ﷺ الكذب على العدو في الحرب لنجاة المسلمين من كيد الكفار.

١١- إذا لم يكن هناك طريق للتخلص من الظلم والكفر إلا بالكذب جاز الكذب هنا للضرورة، وإلا فالأصل في الكذب أنه حرام، ومن أكبر الكبائر، ولا يُباح إلا في الضرورات التي بينها لنا النبي ﷺ (١).

(١) عن أم كلثوم بنت عقبة أن النبي ﷺ قال: «لَا أَعُدُّهُ كَاذِبًا: الرَّجُلُ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، يَقُولُ الْقَوْلَ وَلَا يُرِيدُ بِهِ إِلَّا الْإِصْلَاحَ، وَالرَّجُلُ يَقُولُ فِي الْحَرْبِ، وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ أَمْرًا نَهَى، وَالْمَرْأَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا». أخرجه أبو داود (٤٩٢١).



١٢- **صاحبُ الفِطْرَةِ السليمةِ يميلُ بفطرته إلى الحقِّ،** وهذا

يتضح من قولِ الغلام حين وجد الدابةَ العظيمةَ التي قطعَت الطريقَ على الناس وأحافتهم وأمسكَ بحجرٍ لقتلها فقال: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ»، فقدَّم أمرَ الراهب؛ لأنَّه أحبُّ إليه، وإلى فطرته، وهكذا كلُّ إنسانٍ سليمِ الفطرة، يميلُ بفطرته إلى الحقِّ، وذلك فضلُ الله يؤتیه من يشاء، والله ذو الفضلِ العظيم.

١٣- **إثباتُ كراماتِ الأولياء،** فالوليُّ هو المسلمُ المؤمنُ التقِيُّ؛

لقولِ الله تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾} [يونس: ٦٢-٦٣]، فمَن كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً، ومن فضلِ الله على أوليائه المسلمين أنه يُكرِّمهم بكراماتٍ كحفظهم للإسلام، وهدايتهم للطاعة، وثباتهم عليها، وتوفيقهم لذكِّره وشكِّره وحُسنِ عبادته، وإجابةِ دعواتهم، وتفريجِ كُرْبَاتِهِمْ، كما جرى لأصحابِ الكهف، ولمريمَ ابنةِ عمرانَ، وغير ذلك.



فالله جل وعلا أكرم هذا الغلام بكرامة إجابة دعائه، فلما دعا الله بقتل الدابة، قتلها الله، وحين كان يدعو بشفاء الأكمه والأبرص والمرضى كان الله يجيب دعاءه؛ لاستقامته وصلاحه وإخلاصه لله، والمسلمون كلهم أولياء للرحمن على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم في الإيمان، قال الله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتْ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾} [فاطر: ٣٢-٣٥].

فبين أن الذين اصطفاهم الله للقرآن الكريم هم المسلمون، وأن المسلمين على ثلاث درجات: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ}؛ وهو المسلم الذي يفعل الطاعات، ويرتكب الذنوب والمعاصي، فهو ظالم لنفسه بمعصيته لله، أو بظلمه لغيره. {وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ}؛ وهو



المسلم الذي يفعل الواجبات، ويتجنب المحرمات، وليس مجتهداً في نوافل العبادات. {وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ}؛ وهو المسلم الذي يفعل الواجبات، ويتجنب المحرمات، ويجتهد في نوافل العبادات واجتناب المكروهات، وهذا أعلاهم منزلةً.

ثم بين الله تعالى أنهم جميعاً من أهل الجنة؛ لأنهم جميعاً من الموحدّين، مع تفاوتٍ منازلهم ودرجاتهم في الجنة، فقال الله تعالى: {ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٣﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٤﴾}.

١٤ - جواز مدح الإنسان في وجهه إذا لم يترتب عليه فتنة أو مضرّة، كغرور أو كبر أو عجب بالنفس، واستفدنا ذلك من شهادة الأستاذ لتلميذه الغلام الصالح حين قال له: «أي بُني أنت اليوم أفضل مني»، قال له ذلك ليعلمه أن الله تعالى أنعم عليه بنعمة الإسلام، والعلم، والعمل، وإجابة الدعاء؛ ليكون شاكراً للنعم، قائماً بأمر الله بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وليس لمجرد المدح، بل أراد أن يستخلفه في نشر الخير،



وَيُحْمَلُهُ أَمَانَةَ الدِّينِ، والجد والاجتهاد في نشرِ السَّنةِ، وكذلك ثبت عن النبي ﷺ أَنَّهُ مَدَحَ أَنَسًا فِي وَجُوهِهِمْ، وَبَشَّرَهُم بِالْجَنَّةِ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَغَيْرِهِمْ لِقُوَّةِ إِيمَانِهِمْ، فَلَمْ يَغْتَرُّوا بِهَذَا الْمَدْحِ؛ بَلْ أَزْدَادُوا تَوَاضَعًا وَانْكَسَارًا وَخَوْفًا مِنْ اللَّهِ، وَجِدًّا فِي الْعَمَلِ وَاجْتِهَادًا^(١).

أَمَّا إِذَا كَانَ يُخْشَى عَلَى الْمَمْدُوحِ مِنَ الْمَدْحِ، فَلَا يَجُوزُ مَدْحُهُ فِي وَجْهِهِ، لِنَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ^(٢)، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْمَدْحَ؛ فَإِنَّهُ الذَّبِيحُ»^(٣).

١٥ - **الابتلاء سنة ربانية في الخلق**، فلا بدَّ لكلِّ إنسانٍ من أن يُبتلى، ولكن البلاء لأهل الإيمان والإسلام يكون تمحيصًا لهم،

(١) قال ﷺ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الْجَنَّةِ».

أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٧)، وابن ماجه (١٣٣).

(٢) عن المقداد ﷺ قال: «أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَحْتَبِي فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ».

أخرجه مسلم (٣٠٠٢).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٩٠٣).



ورفعةً لدرجاتهم، وكفارةً لسيئاتهم، ويكونُ بلاءُ العبدِ على حسبِ دينه وقوةِ إيمانه، أو ضعفه، قال النبي ﷺ: «يُبتلى العبدُ على قدرِ دينه ذاك، فإن كان صُلبَ الدينِ ابتليَ على قدرِ ذاك- وقال مرةً: أشدُّ بلاءً- وإن كان في دينه رقةٌ ابتليَ على قدرِ ذاك- وقال مرةً: على حسبِ دينه-»^(١)، ولذلك قال الراهبُ للغلام: «وإنك ستبتلى»؛ ليس علمًا منه بالغيب؛ ولكن لأنَّ هذه هي سنةُ الله، فكلُّ من استقام على منهجِ الله، ودعا إلى الله، لا بدَّ أن يكونَ له ابتلاءٌ اختبارٌ من الله، قال الله تعالى: {وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾} [العصر: ١-٣]، وقال تعالى عن لقمان وهو يعظُ ابنه: {يَبْنَئِ أقيم الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾} [لقمان: ١٧].

١٦- الشافي هو الله وحده، فلما ذهب جليسُ الملكِ للغلام حينما أصابه العمى، وقال له: اشفني، قال الغلام: «إني لا أشفي»

(١) أخرجه أحمد (١٥٥٥).



أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهُ فَشَفَاكَ، فَآمَنْ
بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ».

والشافى من أسماء الله تعالى، وكان النبي ﷺ يقول: «أُذْهِبِ
الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً
لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»^(١).

١٧- ينبغي على الدعاة إلى الله ومعلمي القرآن والسنة أن
يكونوا أزهد الناس في الدنيا، وألا ينظروا إلى ما في أيدي الناس؛
أي: ينبغي أن يتحلوا بعزة النفس، فالغلام لم يطمع في هدايا
الجلس، ولا في أمواله، مع أنه عرض عليه كل ذلك، ولم يطلب
بدعوته وتعليمه أموال الناس ولا دنياهم، إنما كانت دعوته لله
وحده، وهذا من منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله؛ حيث قال كل
منهم لقومه: {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ} [الشعراء: ١٠٩].

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٥)، ومسلم (٢١٩١).



أَمَّا أَخْذُ الْأَجْرِ عَلَيَّ تَعْلِيمِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ أَوْ الدِّنْيَوِيِّ كَتَحْفِيزِ الْقُرْآنِ وَاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا فَيَجُوزُ وَلَا حَرَجَ عَلَيَّ قَوْلِ جَمْهُورِ الْفُقَهَاءِ (١).

١٨- **وَجُوبُ نَسَبَةِ الْفَضْلِ وَالنَّعْمِ لِلَّهِ وَحْدَهُ**، فحينما جاء الجليسُ للغلام وقال له: اشفني، قال له الغلامُ: «إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ»، فَإِنْ كَانَ الْغُلَامُ سَبَبًا بِدَعَائِهِ وَالطَّيِّبُ سَبَبًا بِطِبِّهِ وَدَوَائِهِ، فَهَذَا السَّبَبُ الَّذِي تَفَضَّلَ بِهِ وَقَدَّرَهُ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، فَالْفَضْلُ كُلُّهُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ، قَالَ تَعَالَى: {وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النحل:٥٣]، وَهَذَا لَا يَتَنَافَى مَعَ وَجُوبِ شُكْرِ الْمَخْلُوقِينَ عَلَى مَا أَسَدَّوْهُ إِلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ وَخَيْرٍ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا

(١) انظر تفصيلاً لتلك المسألة في بحث منشور على شبكة الألوكة بعنوان: «اللؤلؤ والمرجان في أحكام أخذ الأجرة على القرآن»: <https://www.alukah.net/library/٠/١٥١٧٣٧>.



أصحاب الأخدود
 أَنْكُمْ قَدْ كَفَأْتُمُوهُ»^(١)، وقال ﷺ: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ
 النَّاسَ»^(٢)، فَشَكَرَ النَّاسِ مِنْ شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

١٩- عداؤ الكافر للمسلم ليس من أجل المال ولا الأرض؛
 وَإِنَّمَا مِنْ أَجْلِ الدِّينِ، فَأَهْمُ شَيْءٍ عِنْدَ الْكَافِرِ أَنْ يَهْدِمَ الْإِسْلَامَ، وَأَنْ
 يُخْرِجَ الْمُسْلِمَ عَنِ الْإِسْلَامِ، أَوْ يَقْتُلَهُ إِنْ تَمَكَّنَ مِنْهُ، قَالَ تَعَالَى:
 {يُرِيدُونَ لِيُظْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ
 الْكٰفِرُونَ ﴿٨﴾} [الصف:٨]، وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ
 أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ
 حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾}
 [الأفعال:٣٦]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: {وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ
 عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} [البقرة:٢١٧].

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨١١).



٢٠- «رَبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»^(١)، فالغلامُ سمع من الراهبِ، فالغلامُ هو المُبَلِّغُ من الراهبِ الذي سمع العلمَ من مشايخه، وقد نفعَ الله بالغلامِ ما لم ينفعَ بشيخه.

٢١- **الدالُّ على الخير له مثل أجر فاعله**، فالراهبُ علّم الغلامَ العلمَ النافع والعملَ الصالح، فله مثل أجر الغلام من غير أن ينقص من أجر الغلام شيءٌ، وقد قال النبي ﷺ: «مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهَا مَا تُلِيَتْ»^(٢)، وقال: «إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ»^(٣)، وقال: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءٌ»^(٤).

٢٢- **أعظم الشهداء من قتل بأيدي الكفار في سبيل إعلاء كلمة الله، ونصرة دينه، مخلصاً لله، مثل: الراهب، والجلس، والغلام، رضي الله عنهم جميعاً.**

(١) أخرجه البخاري (١٧٤١).

(٢) انظر: السلسلة الصحيحة (٣/٣٢٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٢٩)، والترمذي (٢٦٧٠).

(٤) أخرجه مسلم (١٠١٧).



٢٣- **اللهُ تعالى لا يقضي لعباده إلا الخيرَ**، وإن كان البلاءُ في ظاهره شرًّا بالنسبة للعبد؛ ولكنه في قدرِ الله خيرٌ مطلقٌ، فهؤلاء المؤمنون الذين قتلهم الكفارُ هم حتمًا سنتتهي آجالُهُم، ويموتون، ولكنَّ الله تعالى بفضلِهِ وكرمه قَدَّرَ لهم أن يموتوا شهداءَ في سبيلِهِ، فيكونوا من أهل الجنة، ويكون لكلِّ منهم أجرُ الشهداء، فيتزوج بالْحُورِ الْعِينِ، ويشفعَ في سبعينَ من أهل بيته، ويأمنَ فتنةَ القبر، وغير ذلك من النعيمِ الذي أعدَّهُ اللهُ للشهداء.

٢٤- **وجوبُ الصبرِ على البلاء**، ومَن دعا إلى الله فلا بدَّ له من بلاءٍ، ولا بدَّ له من الصبر؛ لينالَ جزاءَ الصابرين، ولن يُمكنَ المرءُ حتى يُبتلى، إن عاش سيمكَّنُ، وإن مات فهو في سبيلِ الله.

٢٥- **كلُّما كان الداعي إلى الله أنفعَ للناس بمخالطتهم، وقضاءِ حوائجهم، ومواساتهم في أحزانهم ومصائبهم، كانت دعوتُهُ مؤثِّرةً**، وكان له نفعٌ وقبولٌ عظيمٌ عندَ الناس.

٢٦- **ينبغي على الداعي إلى الله أن يستغلَّ حاجاتِ الناس إليه في دعوتهم وتعليمهم ونصحهم**، فهذا الغلامُ كان يستغلُّ حاجاتِ



فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾

[يوسف: ٣٦-٤١].

٢٧- حقيقة الإيمان كامنة في نفوس الناس، فينبغي استعمال الأسلوب الصحيح والعلم النافع والحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنت لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾} [آل عمران: ١٥٩].

٢٨- لا يجيب الدعوات ولا يفرج الكربات إلا الله، قال تعالى: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُوْلَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾} أمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أُوْلَئِكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾} أمَّن يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُوْلَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾} [النمل: ٦٢-٦٤]، وقال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي



سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦١﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿٧٨﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال النبي ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ» (١).

فلما أراد الملك إرهاب الغلام وترويعه حتى يرده عن دينه بإلقائه من فوق الجبل أو بإلقائه في البحر، لجأ الغلام إلى الله، ودعا وقال: «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ»، فاستجاب الله له، وكفاه شرهم، فأهلكهم جميعاً، ونجى الغلام المسلم الصالح.

٢٩- الكافي هو الله، قال تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} ﴿١٣٧﴾

[الزمر: ٣٦]، والكافي سبحانه هو الذي يكفي خلقه ما أهمهم، ويلبي حاجاتهم، فهو سبحانه يكفي عباده شر الأشرار، وكيد الفجار، قال تعالى: {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ [البقرة: ١٣٧]،

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).



فلجأ الغلام إلى الله لِيُنَجِّيَهُ من عُدُوِّهِ، فكفاه الله بِقَتْلِهِمْ ونجاتِهِ من كَيْدِهِمْ.

٣٠- مَعِيَّةُ اللهِ لِعِبَادَةِ الْمُتَّقِينَ، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٨]، وقال لموسى وهارون عليهما السلام حينما خافا من فرعون أن يقتلهم: {لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه: ٤٦].

ومعِيَّةُ اللهِ تعالى نوعان: مَعِيَّةٌ عَامَّةٌ؛ وهي مَعِيَّةُ الْعِلْمِ، فالله معنا جميعاً بعلمه، يَعْلَمُ أحوالنا، وَيَسْمَعُ أقوالنا، وَيَبْصُرُ أمورنا. ومَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ؛ وهي مَعِيَّةُ النَصْرِ والتأييد والحفظ والكفاية لعباده المؤمنين الصالحين.

فهذا الغلام كان الله معه بنصره وتأييده، ومن كان الله معه فلا أحد يقدر على أن يضره، إلا بمشيئة الله وحده.

٣١- دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ؛ لقول النبي ﷺ: «وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(١)، وقال ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ: دَعْوَةُ الصَّائِمِ، ودَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، ودَعْوَةُ

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).



المسافر^(١)، فالغلامُ لَمَّا دعا اللهَ على الظالمين الذين أرادوا قتله، وقال: «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ»، استجاب اللهُ تعالى في الحالِ، فأهلكهم جميعاً، وأنجاه من ظلمهم.

٣٢- من فَوْضَ أمره إلى اللهِ وأَحْسَنَ التَّوَكَّلَ عليه وَأَخْلَصَ في اللجوءِ والضَّرَاعَةِ إليه؛ كَفَاهُ اللهُ، ووقاه ووفَّقَه لرضاه، قال تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضَّلِ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾} [آل عمران: ١٧٣-١٧٤]، فالغلامُ لَمَّا فَعَلَ ذلك كَفَاهُ اللهُ، وحَفِظَهُ ورعاه.

٣٣- من الدَّعَوَاتِ المُسْتَجَابَاتِ التي يُدْعَى بها على الظالمين دعوةُ الغلام: «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ»، ودعوة الرسول ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ»^(٢).

(١) انظر: السلسلة الصحيحة (٤/٤٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٣٧).



٣٤- إماطة الأذى عن الطريق صدقةٌ من أعظم الصدقات،

فالغلام لما أمسك الحجر دعا الله عز وجل بقتل الدابة التي تؤذي الناس؛ لإماطة أذاها عنهم، وكان عملاً صالحاً نافعاً.

٣٥- «خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمُ لِلنَّاسِ»^(١)؛ قاله الرسول ﷺ، فهذا

الغلام كان من أنفع الناس للناس بدعوته للتوحيد، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، والدعاء لهم بشفاء مرضاهم، وإماطة الأذى عنهم، فكان من خير الناس، رحمه الله ورضي عنه.

٣٦- من فرَّج كُرْبَاتِ النَّاسِ فَرَّجَ اللَّهُ كُرْبَهُ، فقد كان الناس في

كربٍ عظيمٍ بسبب هذه الدابة، فسخر الله الغلام، لتفريج كربهم، ودرء الأذى عنهم، بالدعاء ورمي الدابة بالحجر، فقتلها الله كرامةً للغلام، ورحمةً منه بخلقه، فكان الغلام سبباً في تفريج هذا الكرب، وإزالة هذا الأذى، قال النبي ﷺ: «وَمَنْ فَرَّجَ عَن مُّسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢).

٣٧- المؤمنُ الصادقُ المخلصُ هو الذي ينسب فعل الكرامة

إلى الله لا إلى نفسه، ولا تحمله كرامة الله له على العجب بنفسه،

(١) انظر: السلسلة الصحيحة (١/٧٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٠).



والغرور بنعمة الله عليه، والتكبر على خلق الله بها، فالغلام حينما أكرمه الله بإجابة دعائه لشفاء المريض، وإبراء الأكمه والأبرص قال له بعض الناس: اشفني. قال: «إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك». ولما قال له الملك: قد بلغ من سحرِكَ ما تبرئ الأكمه والأبرص، وتَفعل وتَفعل؟ فقال الغلام: «إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله».

٣٨- الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم، ولا يصبر على أذاهم، كما أخبرنا رسول الله ﷺ^(١)، ولذلك كان شأن الغلام في هذه القصة أعظم وأنفع من شأن الراهب، وجليس الملك.

٣٩- كل من أخطأ في تعبيره لا يترك على خطئه؛ بل يبين له وجه الصواب، لا سيما إذا كان هذا الخطأ ممّا يمَسُّ عقيدة التوحيد أو حكماً شرعياً، فلما قال الجليس للغلام: اشفني. قال له: «إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله»، وكذا قالها للملك حينما قال له: «أي

(١) قال ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أعظم أجراً من المؤمن المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم». أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٢).



بُنِيَ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ؟». قال الغلام: «إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ»، وهذا هو هدي رسول الله ﷺ في مثل هذه الأمور، فلَمَّا سَجَدَ لَهُ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ تعظيمًا له وتوقيرًا، قال له: «فَلَا تَفْعَلُوا، فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»^(١)، فلم يترك معاذًا على خطئه، وَإِنَّمَا صَحَّحَ لَهُ الْخَطَأَ، وَعَلَّمَهُ بِالرَّفْقِ وَاللِّينِ. وَلَمَّا قَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ. قَالَ لَهُ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا، قُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحَدَهُ»^(٢).

وَلَمَّا سَمِعَ الْجَارِيَةَ تَمْدَحُهُ وَتَقُولُ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدِي. قَالَ: «لَا تَقُولِي هَكَذَا، وَقُولِي مَا كُنْتُ تَقُولِينَ»^(٣).

وَلَمَّا سَمِعَ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ؛ أَي: يَحْلِفُ بِغَيْرِ اللَّهِ، قَالَ لَهُ: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمِتْ»^(٤)، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَ عَنْهُ ﷺ، وَذَلِكَ

(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٢/١).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٠١).

(٤) أخرجه البخاري (٦٦٤٦، ٦١٠٨)، ومسلم (١٦٤٦).



لصيانة جناب التوحيد والشريعة من جهة، ولأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز من جهة أخرى.

٤٠ - خير الناس مسلمٌ تعلمَ العلمَ الشرعيَّ، وعلمه للناس يريد بذلك وجه الله، قال الله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾} [فصلت: ٣٣]، وقال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(١).

وهذا الغلام رحمه الله كان من هذا الصنف المبارك.

٤١ - بركة المسلم هي نفعه للناس بدعوتهم إلى الله، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وجلب النفع لهم، ودرء الشر عنهم ما استطاع، ولذلك قال النبي عيسى بن مريم ﷺ: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾} [مريم: ٣١].

وقد كان هذا الغلام مباركاً، تعلم العلم، وعلمه، ودعا للتوحيد، وحارب الشرك والبدعة، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

(١) سبق تخريجه.



٤٢- الله تعالى يصطفي من خلقه من يحول دينه، وينشره في الناس، ويتحمل الأذى والمشقة في سبيل الله، وكان هذا الغلام منهم، قال الله تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾} [الأحزاب: ٢٣]، وقال تعالى: {وَكَايِنٍ مِّن نَّبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيبِيونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَعَاتَلَهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾} [آل عمران: ١٤٦-١٤٨].

جعلنا الله تعالى وإياكم منهم! آمين!

٤٣- الله هو الذي يثبت العبد على الإيمان، ويهديه إليه بفضل رحمته سبحانه، {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾} [إبراهيم: ٢٧]، ومما يثبتهم الله به الحجة والكرامة، فقد منحهم حجته بوحيه بكتابه وسنة رسوله، وأكرمهم بأنواع الكرامات.



ومن تلك الكرامات نُطق الرضيع في المهد صبياً، فلما تقاعست المرأة المؤمنة وخافت على ولدها من القتل بالنار أنطق الله رضيعها؛ ليشبها على الإيمان والتوحيد، ولا تتردد إلى الكفر، وقال لها: «يا أُمَّه، اصْبِرِي؛ فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ».

٤٤ - العمل للدين والغيرة على التوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية جميع المسلمين، كل بحسب إمكانياته؛ لقول النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١)، وقال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾}

[آل عمران: ١١٠]، فمهمة الأنبياء والرسل وأتباعهم هي إقامة الدين، والدعوة إليه، بتعليمه، وتعليمه، والعمل به، والصبر في سبيل ذلك.

(١) أخرجه مسلم (٤٩).



فهذا هدهد يشغله أمرُ التوحيد، ويغارُ عليه، فحينما يرى مملكةً سبأً تسجدُ للشمس من دونِ الله، وتشركُ بالله، يذهبُ فرعاً مهموماً لنبيِّ الله سليمانَ ويقول له: {وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِيَّايَ وَجَدْتُ أُمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا- يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الحَبَّاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾} [النمل: ٢٢-٢٥].

وهكذا كان هذا الغلامُ البطلُ المجاهد الذي حملَ لواءَ الدعوة إلى توحيدِ الله، وكان سبباً في إسلام أهل المدينة، وإيمانهم، فله أجره، وله مثل أجورهم من غير أن ينقصَ من أجورهم شيءٌ.

٤٥- قال الغلامُ للملك: «إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرُكَ بِهِ...، تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جَذَعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ القَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الغَلامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي»، سببُ قوله



هذا أنه تيقن أن الملك لن يتركه ما دام متمسكاً بدينه حتى يقتله، فأيقن بالموت والقتل، فأراد أن ينشر دين الله في الناس كلهم، ويبلغهم التوحيد قبل موته، وذلك بالآتي:

أولاً: بيان سبب قتل الملك له، ولشيخه الراهب، وللجليس، وهو أنهم دانوا الله بالإسلام والإيمان.

ثانياً: بإقرار الملك الذي كان يدعي لنفسه الربوبية بأنه ليس رباً ولا إلهاً، وإنما هو بشر، مخلوق، ضعيف، فقير، سيموت، فحين يقول: «باسم الله رب الغلام» فقد أقر أمام جموع الناس بأن هناك إلهاً واحداً، وهو رب الغلام، خالق السموات والأرض، المحيي المميت، مدبر الكون، مالك الملك.

ثالثاً: بيان مدى كفر هذا الملك، وظلمه، وفساده في الأرض بغير الحق، بقتله لعباد الله الصالحين الذين ليس لهم جناية ولا تهمة إلا أنهم قالوا: ربنا الله.



٤٦- السببُ في محاربة الكفِّرة والعصاة للدُّعاة إلى الله: أنَّ

الداعي إلى الله يأمر بما يتنافى مع الأهواء المفضلة، فيرى الكافر والعاصي أن الداعي إلى الله يجاهد في شهواته ونزواته وأهوائه المحرَّمة، فيردُّ عليه بالأذى والضرر، فالزاني وشارب الخمر وتاجر المخدرات والذي يُشرك بالله وقاطع الطريق وغيرهم من أهل الفساد لا يُحبون من يحذُر وينهى عن هذه المعاصي والشركيات، ويحاولون إسكاته؛ بل وإخراجه من بلدهم إن استطاعوا، كما قال اللّوَّاطون من قوم لوط: {أَخْرِجُوا عَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ} [النمل:٥٦]، فاللّوَّاطون لا يحبون من ينهاهم عن اللّواط؛ بل يؤذونهم، ويحاولون طردهم من بلدهم.

وهذا الغلام لما كان يدعو إلى التوحيد، ويحذُر من الشرك، ويدعو إلى الفضيلة، ويحذُر من الرذيلة، سعى الملك وبطانته من أهل الفساد في قتله وقتل من آمن معه، ودانَ بدينه.

٤٧- قول النبي ﷺ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»: ربطُ بين

الحاضر والماضي؛ ليكون هذا واقع الدعوة منذ بدايتها إلى نهايتها، فأهل الإيمان يدعون إلى التوحيد والفضائل، وأهل الكفر يدعون إلى الشرك والرذائل، فعلى المؤمن أن يجاهد بعلمه



ودعوته، ويصبرَ على ذلك حتى يلقى الله، فإنه مَيِّتٌ لا محالة،
فيموتُ على الإسلام وعلى طاعةِ الله والدعوة إليه، فهذا أعظمُ
شرفٍ يناله العبدُ في الدنيا، ويلقى الله به في القيامة.

٤٨- لم يذكرِ النبي ﷺ في الحديث صراحةً مكانَ القصةِ ولا
زمانها، لتجريدِ معانيها، والاستفادة منها على عمومها، فليس لذكرِ
الأسماءِ كبيرُ أثرٌ في ذلك.

٤٩- راوي هذه القصة عن رسولِ الله ﷺ هو الصحابيُّ الجليلُ
صُهَيْبُ الروميُّ رضي الله عنه، وهو أيضًا أحدُ المجاهدين في سبيلِ الله بعلمه
ودعوته، وسيفه وسلاحه، فقد آمنَ بالله ورسوله، وخرج من مكة
مهاجرًا إلى الله ورسوله، فتعقَّبَه المشركون ليمنعوه، فدللهم على
ماله كله ليتركوه على دينه وهجرته، ففدى نفسه ودينه بماله كله،
وأنجاه الله من أيديهم، حتى وصل إلى رسولِ الله ﷺ بالمدينة،
فقال له النبي ﷺ: «أبا يحيى، ربحَ البيعُ»^(١)، ونزلَ فيه قولُ الله
تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ أُبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ} [البقرة: ٢٠٧].

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٥٧٠٠).



فصهيبُ الروميُّ راوي هذه القصة فيه كبيرُ شبه هذا الغلام، فكلاهما ضحى بما يملك ابتغاء مرضاة الله، ونصرة دين الله، رضي الله عنهم وأرضاهم.

٥٠- أعظم ما يكون من التجبر وقسوة القلب أن يجمع الإنسان بين الكفر بالله ومُحاربة دينه وأوليائه، كما جرى من هذا الملك وأعوانه مع أصحاب الأخدود المؤمنين الصادقين.

٥١- صوتُ الحق وإن كان خائفاً خائفاً أعلى من صوتِ الباطل، وأشدُّ وقعاً وأثراً في القلوب، وهو الباقي بفضل الله ورحمته.

٥٢- الحكمة من إخبار الله ورسوله للمؤمنين بهذه القصة: أن يتأسوا بهذا الغلام في الصبر على ما يلاقونه من أذى ومشقة في سبيل دينهم، وإظهار دعوتهم، قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصديقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف: ١١١].



٥٣- الخسارة ليست في إزهاق النفس في سبيل الله؛ ولكنها بالردّة عن الدين، والتخلّي عن مبادئه، والاستخفاف بالحق، والتهاون مع الباطل، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾} [الزمر: ١٥]، والفوز والانتصار ليس في سلامة البدن، ولا صيانة المال، ولا حفظ المركز، وإنما هو الثبات على الإيمان والتوحيد والدعوة إلى الله تعالى، حتى بلوغ الغاية العظمى، قال الله تعالى: {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} [آل عمران: ١٨٥].

وصل اللهم على نبيّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم!
آمين آمين!



فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
٣	مقدمة
٧	الفصل الأول: قصة أصحاب الأخدود في القرآن الكريم
٧	المبحث الأول: الآيات الواردة في قصة أصحاب الأخدود من القرآن ومعاني مفرداتها
١٢	المبحث الثاني: المعنى الإجمالي للآيات التي وردت في قصة أصحاب الأخدود
١٦	المبحث الثالث: الدروس والفوائد المستفادة من القصة
١٦	استحباب القراءة أحياناً في الصلوات عموماً وفي صلاة العشاء خصوصاً بسورة البروج
١٦	الله جل وعلا يُقسِمُ بما شاء من خلقه
١٧	جواز لعن الكفار والمشركين، والدعاء عليهم وتبشيرهم بالنار
١٨	عداوة الكفار المشركين والزنادقة والمنافقين وجميع ملل الكفر لأهل الإيمان: عداوة دينية
١٩	الكفار إذا تمكنوا لن يرحموا المسلمين



- ٢٠ اللهُ جل وعلا هو التوابُّ الغفورُ الغفارُ الرحمنُ الرحيمُ
يغفرُ الذنوبَ جميعًا، ويقبَلُ التوبةَ
- ٢٢ الجزاء من جنس العمل
- ٢٣ العاقبة للمتقين والخزي والعار على الكافرين
- ٢٤ الابتلاء في هذه الدنيا سنة ربانية في الخلق
- ٢٦ كل شيء في هذا الكون إنما يجري بتقدير الله وعلمه
ومشيئته
- ٢٧ الفصل الثاني: قصة أصحاب الأخدود في السنة النبوية
- ٢٧ المبحث الأول: نص الحديث
- ٣١ المبحث الثاني: مشاهد القصة
- ٤١ المبحث الثالث: ما استفاد من القصة
- ٤١ أَنَّ السَّحَرَ كَفْرٌ
- ٤١ أَنَّ السَّحَرَ عِلْمٌ كُلُّهُ ضَرَرٌ مُحَضٌّ، لَا نَفْعَ فِيهِ
- ٤١ أَنَّ الْعِدَاءَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ قَائِمٌ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ
- ٤٢ أَنَّ الذَّهَابَ لِلْسَّحَرَةِ وَالذَّجَالِينَ وَالْعَرَّافِينَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ
- ٤٢ أَهْمِيَّةُ التَّعْلِيمِ فِي الصَّغَرِ
- ٤٢ وجوبُ العناية بالنَّشءِ المسلمِ، وتعليم الصغار،
وتحفيظهم القرآن والسُّنة



- ٤٣ حرصُ الأعداءِ على التعاونِ فيما بينهم لإفسادِ الناسِ
- ٤٣ وجوبُ الحرصِ على أن نستخلفَ مَنْ يحمِلُ علمَ الكتابِ والسُّنةِ بفهمِ سلفِ الأُمَّةِ
- ٤٤ كلُّ مولودٍ يُولدُ على الفِطرةِ
- ٤٥ جوازُ الكذبِ على العدوِّ لإنقاذِ النفسِ من الهلاكِ
- ٤٥ إذا لم يكن هناك طريقٌ للتخلصِ من الظلمِ والكفرِ إلا بالكذبِ جازَ الكذبُ هنا للضرورةِ
- ٤٦ صاحبُ الفِطرةِ السليمةِ يميلُ بفطرتهِ إلى الحقِّ
- ٤٦ إثباتُ كراماتِ الأولياءِ
- ٤٨ جوازُ مدحِ الإنسانِ في وجهه إذا لم يترتّبْ عليه فتنةٌ أو مَضرةٌ
- ٤٩ الابتلاءُ سنَّةٌ ربانيَّةٌ في الخلقِ
- ٥٠ الشافي هو اللهُ وحدهِ
- ٥١ ينبغي على الدُّعاةِ إلى اللهِ ومعلِّمي القرآنِ والسُّنةِ أن يكونوا أزهَدَ الناسِ في الدنيا
- ٥٢ وجوبُ نسبةِ الفضلِ والنَّعمِ لله وحدهِ
- ٥٣ عداؤُ الكافرِ للمسلمِ ليس من أجلِ المالِ ولا الأرضِ؛ وإنَّما من أجلِ الدِّينِ



- ٥٤ رَبِّ مُبَلِّغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ
- ٥٤ الدالُّ على الخيرِ له مثلُ أجرِ فاعله
- ٥٤ أعظمُ الشهداءِ مَنْ قُتِلَ بأيدي الكفارِ في سبيلِ إعلاءِ
كلمةِ الله، ونُصرةِ دينه
- ٥٥ اللهُ تعالى لا يقضي لعبادهِ إلا الخيرَ
- ٥٥ وجوبُ الصبرِ على البلاءِ
- ٥٥ كلُّما كان الداعي إلى الله أنفعَ للناسِ بمخالطتهم، وقضاءِ
حوائجهم، ومواساتهم في أحزانهم ومصائبهم، كانت
دعوته مؤثِّرةً
- ٥٥ ينبغي على الداعي إلى الله أن يستغلَّ حاجاتِ الناسِ إليه
في دعوتهم وتعليمهم ونصحهم
- ٥٧ حقيقةُ الإيمانِ كامنةٌ في نفوسِ الناسِ
- ٥٧ لا يجيبُ الدَّعواتِ ولا يفرِّجُ الكُرَباتِ إلا اللهُ
- ٥٨ الكافي هو اللهُ
- ٥٩ معيَّةُ الله لعباده المتقينَ
- ٥٩ دعوةُ المظلومِ مستجابةٌ
- ٦٠ من فَوَّضَ أمره إلى اللهِ وأحسنَ التوكُّلَ عليه وأخلَصَ في
اللجوءِ والضَّراعةِ إليه؛ كفاه اللهُ



- أصحاب الأخدود
- ٦١ إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ مِنْ أَعْظَمِ الصَّدَقَاتِ
- ٦١ خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ
- ٦١ مِنْ فَرَجِ كُرْبَاتِ النَّاسِ فَرَجَ اللَّهُ كُرْبَهُ
- ٦١ الْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ الْمُخْلِصُ هُوَ الَّذِي يَنْسَبُ فَعَلَ الْكِرَامَةَ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَى نَفْسِهِ
- ٦٢ الَّذِي يَخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَا يَخَالِطُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ
- ٦٢ كُلُّ مَنْ أَخْطَأَ فِي تَعْبِيرِهِ لَا يُتْرَكُ عَلَى خَطئه
- ٦٤ خَيْرُ النَّاسِ مُسْلِمٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ، وَعَلَّمَهُ لِلنَّاسِ يَرِيدُ بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهُ
- ٦٤ بَرَكَةُ الْمُسْلِمِ هِيَ نَفْعُهُ لِلنَّاسِ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ
- ٦٥ اللَّهُ تَعَالَى يَصْطَفِي مِنْ خَلْقِهِ مَنْ يَحْمِلُ دِينَهُ
- ٦٥ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَثْبُتُ الْعَبْدَ عَلَى الْإِيمَانِ
- ٦٦ الْعَمَلُ لِلدِّينِ وَالْغَيْرَةِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ مَسْئُولِيَّةٌ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ
- ٦٩ السَّبَبُ فِي مُحَارَبَةِ الْكُفْرَةِ وَالْعُصَاةِ لِلدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ: أَنْ الدَّاعِيَ إِلَى اللَّهِ يَأْمُرُ بِمَا يَتَنَافَى مَعَ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ
- ٧٠ لَمْ يَذْكُرِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ صِرَاحَةً مَكَانَ الْقِصَّةِ وَلَا



زَمَانَهَا

- ٧٠ راوي هذه القصة عن رسول الله ﷺ هو الصحابيُّ الجليلُ
صُهَيْبُ الروميُّ ؓ
- ٧١ أعظَمُ ما يكونُ من التجبُّرِ وقسوةِ القلبِ أن يجمَعَ الإنسانُ
بينَ الكفرِ باللهِ ومُحاربةِ دينه وأوليائه
- ٧١ صوتُ الحقِّ وإن كان خائفًا خافتًا أعلى من صوتِ
الباطلِ
- ٧١ الحكمةُ من إخبارِ الله ورسوله للمؤمنين بهذه القصة: أن
يتأسَّوا بهذا الغلامِ في الصبرِ
- ٧٢ الخسارةُ ليست في إزهاقِ النفسِ في سبيلِ الله؛ ولكنها
بالرَّدَّةِ عن الدِّينِ

